الهوية والانتماء في قصص الأطفال في الأدب الفلسطيني الحديث

Identity and Be Losing In the Children Stories in the Modern Palestinian Literature

مرزوق بدوي

Marzooq Badawi

كلية مجتمع النجاح، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

بريد الالكتروني mbadawi53@gmail.com

تاريخ التسليم: (٢٠١٣/٣/٢٨)، تاريخ القبول: (٢٠١٣/٧/١٤)

ملخص

تقوم هذه الدراسة على استكشاف الدوافع النفسية والاجتماعية والدينية، التي جعلت من أطفال فلسطين على صغر سنهم يتقبلون مفاهيم الصراع المتعلقة في تحقيق الهوية والانتماء الوطني، وإبراز حقيقة النظرة الطفولية إلى شهداء وطنهم ومحاولة تقليدهم. كما يتعرض هذا البحث إلى استجلاء الذاكرة الفلسطينية، وارتباطها العميق بالأجيال المختلفة. وكذلك الإشارة إلى الأثر الذي أحدثه المأثور الشعبي، والموروث الثقافي والاجتماعي في استنهاض مشاعر الأطفال وعواطفهم، وحثهم على التمسك بالأرض والعناية بها، فقد كان لكتّاب القصة دور مهم في إظهار هذه العلاقة بأسلوب يستهوي الأطفال على مختلف أعمارهم، ويرقى إلى مستوى مداركهم وطموحاتهم. فحالة الصراع الدائر على أرض فلسطين، قد أوجدت صوراً و أشكالاً نضالية متنوعة، أثرت على انطباعات الأطفال من ذكور وإناث، تمثلوها في ألعابهم ورسوماتهم و كتاباتهم، وقد ظهر جلياً أن كتّاب قصص الأطفال في فلسطين، قدموا صورة حية لواقع الطفولة في بلادهم، مما جعلنا نقف على تلك الدوافع التي صنفها بعضهم على أنها حالات نفسية واجتماعية مؤقتة، مستنيرين ببعض النصوص الأدبية والقصصية المقدمة لهم.

Abstract

This study is designed to explore the psychological، social، and religious motives which caused Palestinian children no matter how young they are accept the struggle concepts related to their vision of falling martyrs for their country and trying to imitate them. In addition، attempts to clarify the Palestinian memory to show its deep association with

different generations. As well a، mention the impact in mobilizing children's sensation and emotions towards preserving land and achieve national pertinence comprehensively. Narrator of the Palestinian story had a great influence to show this relation which attracts the children attentions no matter how old they are in realizing their ambitions. The on-going struggle on the land of Palestine had created different form of struggle that had affected male and female children's impact which had been represented in their games، drawings and writing. Out study shows clearly، that children story Palestinians narrators had offered a live picture to childhood in those country، which encouraged us to investigate those motives which had been classified by some as temporary social and psychological cases guided by some literary texts and stories offered by Palestinian children.

لا يختلف اثنان على أنه قد برز في الآونة الأخيرة صراع الهوية بصورة قوية، وبخاصة في الهجمات الاستيطانية الشرسة على الأرض الفلسطينية للاستيلاء عليها، وطمس الوجود الفلسطيني دونما تمييز بين شجر وحجر وبشر.

ولا شك أن إمعان الاحتلال في نزع الشرعية عن الأرض وأصحابها، بتهويدها وتغيير معالمها، يؤجج سؤال الهوية في النفوس، ويعزز التمسك بها وعدم التنازل عنها، والتركيز على تحديد ملامح الشخصية الوطنية التي لا بد من غرسها في نفوس الأبناء، الذين يشكلون الأمل الواعد والغد المشرق.

وإذا كان الكبار مدرسة للصغار، فكيف إذن نوطد العلاقة بين الطفل والوطن الذي ينتمي إليه؟

وكيف يمكن أن يدافع هذا الطفل ببراءته عن مرتع أحلامه وآماله، قبل أن تحطمها آليات الاحتلال؟ فهل حقيقة بعدما يموت الكبار سوف ينسى الصغار؟ وهل سيصبح الشعب الفلسطيني بميراثه العظيم في كتب التاريخ المهترئة مجرد حبر على ورق؟ أم أن الأحداث المستمرة على أرض الصراع قد أثرت في تنمية المشاعر الوطنية لدى أبنائه، فأعادوا صياغة هذا التاريخ من جديد؟ ثم أليس الكبار...الكاتب منهم والقاصّ...ما زالوا مدرسة للصغار، في تعميق مفهوم الدفاع عن الأرض والتمسك بها، على اعتبار أنها الوعاء الأصيل لتحقيق معاني الهوية والانتماء؟ وما هي الدوافع والأسباب التي جعلت أطفال فلسطين يقبلون على الاستشهاد؟

فالأحداث والمشاهدات اليومية المتكررة، أسهمت بشكل مباشر في ازدحام أسئلة الهوية في ذاكرة أطفال فلسطين، فجعلت منهم البطل الأسطورة والمخلّص المنتظر.

وبناء على كل هذه التساؤلات؛ جاءت هذه الدراسة لتجيب عن سؤال الهوية والانتماء لدى أطفال فلسطين، من خلال مصادرهم الثقافية المختلفة وعلى رأسها القصة، التي تمثّل أهمّ عناصر الثقافة والتربية، حيث أبرز البحث قيمة الانتماء والهوية من خلال قصص الأطفال في الأدب الفلسطيني الحديث، وما زرعته في وجدان الطفل الفلسطيني في إيقاد شعلة الوطنية والتمسك بالأرض مهما طالت السنون ، وتعددت المشارب، وتباعدت الأوطان، ولم يسبق على حد علم الباحث مَن تطرق لبحث هذا الموضوع في دراساتهم الأكاديمية .

تمهيد

يتعرض الإنسان الفلسطيني بعامة والطفل الفلسطيني بخاصة إلى هجمة عدوانية استيطانية شرسة، تهدف إلى تغييب هويته وانتمائه وسلخه عن وطنه فلسطين، السبب الذي جعل هذه الدراسة تتناول إسقاطات الواقع وإسهامات كتّاب قصص الأطفال في فلسطين، في تعميق التربية الوطنية وترسيخ مفهوم الانتماء والهوية عند الطفل الفلسطيني، وذلك من خلال الوقوف على النصوص القصصية المقدمة لهم، تلك التي أثرت في تكوين شخصية الطفل المناضل.... الطفل القائد.

ويسعى هذا البحث إلى تحديد الهوية والانتماء لدى أطفال فلسطين بإلقاء الضوء على مفهوم الشهيد والوطن والأرض، على اعتبار أن هذه العناصر الثلاثة تعدُّ من أهم مكونات التغذية الفكرية الوطنية بالنسبة لأطفال فلسطين، بوصفهم مرآة المجتمع الذي يرى فيهم صورة مستقبله وغده المنشود، فالمجتمعات على مختلف صورها وأشكالها تسعى إلى تربية صغارها وتثقيفهم للحفاظ على استمراريتها وترابطها، لأن التربية الواعية والثقافة الهادفة هما وسيلة بقائه وتقدمه.

فالطفل الفلسطيني على وجه التحديد، يعيش حالة اغتراب دائمة تبعده عن طفولته، لأن الواقع الذي يربيه ويوجهه يفتقر إلى الصفات الإنسانية التي يعيشها أطفال العالم، إذ أن "تجربة الشعب الفلسطيني تعد تجربة الخوف العميق على بقائه الجسدي والمادي والمعنوي، كل شيء معرض للتهديد والخطر، البيت والأرض والأولاد" (١)

يمكن القول إن القصة الوطنية المكتوبة للأطفال لا تشارك في توفير هذا التراث العظيم فحسب، وإنما تسهم في تنمية الولاء للوطن، لأن حب الوطن (تمتد جذوره إلى الأيام الأولى من حياة الإنسان... عندما يرنو إلى البطولات في وطنه، ويتعشقها و يحلم بالسير على طريقها،وكل طفل خياله جائع نحو البطولات والأبطال)(٢).

ومن جانب آخر جاءت القصة لتلبي الحاجات النفسية والاجتماعية لدى الطفل،فضلا عن الحرص على تنقية النفس الإنسانية، وبناء الشخصية و تحصين الذات،باستخلاص العبرة والحكمة من السابقين (فهي تمثل أهم جوانب التنشئة المتكاملة للطفل في العصر الحديث، بما

(١) دويري، مروان.(١٩٩٧): **الشخصية، والثقافة، والمجتمع العربي**. ط١ الناصرة، ص ٥٢.
(٢) الحديدي، علي.(١٩٩٩): **في أدب الأطفال**. ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية اللبنانية،ص ١٨٨.

تقدمه لوسائل التنشئة من دعم عقلي ووجداني، وبما لها من تأثير على شخصية الأطفال في مراحل نموهم المختلفة)[١].

والمجتمع والوطن هما الواقع الذي ينتمي إليه الطفل، الذي لا بد أن ينشأ على الولاء لهما والانتماء إليهما، لا سيما أن حب الوطن والدفاع عنه يجب أن يتميز بالإحساس والرغبة الدائمة في خلق جو من التفاعل من أجل نهضة المجتمع وتقدمه، ولا شك أن النص الأدبي وثيق الصلة بتنمية هذا الشعور وتربيته.

إن للقصة أهمية بالغة في حياة الأمم والشعوب، بوصفها وسيلة مهمة من وسائل التربية وإثارة الدافع المعرفي لدى الطفل، وما تستثيره من اهتمامات إنسانية، وتنمية الفضائل عنده، ولا سيما غرس القيم الإيجابية، وقد لعبت القصة الوطنية دوراً بارزاً في هذا المجال لما فيها من أساليب تأثيرية على شخصية الطفل ونفسيته، فهي تسهم في إعداده في حب الوطن والتضحية من أجل كرامته واستقلاله، وتقوية شعوره بالانتماء إليه (وتقوية إيمانه بأهدافه، وتوجهه توجيها يجعله يفخر بذلك الوطن ويخلص له، ويسهم في توفير أسباب السعادة في الحياة فيه، ولا يتردد في الدفاع عنه عند الحاجة)[٢].

ولعل ما يميز قصة الطفل الفلسطيني أنها ظهرت تحمل شخصية الواقع المعاش، بمفهومه وآلامه ومآسيه، وذلك من خلال رؤية واقعية للإنسان الفلسطيني الذي يتعرض بشكل مستمر إلى محاولات طمس الهوية، لذا (فمن الطبيعي أن نجد أدب الكبار وأدب الصغار يتسمان بمجموعة من الخاصيات والسمات الفنية والجمالية والمضامين الثورية، كالتحدي، والنضال، والصمود، والرغبة في الحرية والانعتاق)[٣]. فقد استطاع الكاتب الفلسطيني صياغة هذا الواقع بأسلوب فني واع، ولم تكن **(النقطة الجوهرية في الوعي الفني اعتماده على الواقع الموضوعي فحسب؛ بل في التوجيه الذي يقدمه إلى الناس، وما يعلمهم إياه، وإمكان أن يصبح دليلا للعمل، وتوحيدا لإرادة الناس ومشاعرهم)**[٤].

ومن جانب آخر استطاعت قصة الطفل الفلسطيني أن تعبر عن واقعه اللغوي دون الإغراق في الغموض والإبهام، إذ احتوت على ثروة لغوية يفهمها الطفل، ويمارسها في حياته اليومية، إذ أن التعبير القصصي قد تجاوز معاني الألفاظ والعبارات إلى خفتها وانسجامها وتناغمها، لإثارة الحس الجمالي لدى الطفل، وإحداث المتعة بدلالة الكلمة وجمال معانيها، (وهذا يعني أن معاني الكلمات لا تكتسب إلا بعد أن يكوّن الطفل صورا ذهنية، أو مفاهيم عن الأشياء والأحداث التي

---

(١) المرجع نفسه: ص٢١٩.
(٢) ناصر، إبراهيم. (١٩٩٤): **التربية الحديثة**. ط١، مكتبة الرائد، عمان، ص٢٠٨.
(٣) حمداوي. جميل. أدب الأطفال في فلسطين. دنيا الرأي. ٢٠٠٩/٩/١
http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2009/09/01/173152.html.
(٤) عيّاد. شكري. (١٩٧١): **الأدب في عالم متغير**. ط١. الهيئة المصرية العامة . القاهرة ص١٣١.

تشير إليها الكلمات وترتبط بها، وتصبح الكلمات في النهاية عبارة عن رموز تشير إلى مفاهيم)[١].

ومن اللافت للانتباه أن القاص الفلسطيني قد راعى خصائص المرحلة الطفولية المتوجه إليها، وهذا ما ظهر من خلال النصوص المدروسة، ذلك أن اللغة تعد الهوية التي يحملها الناس منذ طفولتهم، إذ **(لاشيء في الحياة يؤكد خصائص المجتمع، ويبرزها على وجهها الحقيقي كاللغة المرنة المطواع، التي تعبر بألفاظها الدقيقة الموحية عن حاجات البشر مهما تتشعب، حتى تصبح الرمز الذي به يعرفون النسب الذي ينتسبون إليه)[٢].**

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على قصص الأطفال في فلسطين، ومدى إسهام الكتّاب في تنمية الشعور بالانتماء، وتعزيز حب الوطن والولاء له.

استخدم الباحث المنهج الوصفي بتناوله قصص الأطفال في الأدب الفلسطيني الحديث.

أولا: الشهيد

الموت والحياة مفهومان قد لا يلتقيان، لكنهما في الوقت ذاته الوهج الذي يثير جدلاً عميقاً حول كينونة الإنسان، وضرورة التعاطي مع المفهوم الأول حتى يتحقق الثاني، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور البعد العقائدي الذي يتولّد عند الطفل في أثناء حديثه عن الشهيد، وملامسته القريبة لواقعه، فيقوي الانتماء الديني والوطني لديه، ويدفعه إلى إثارة كثيرٍ من الأسئلة حول الموت الذي تنبع من خلاله الحياة، كما جاء في مفهومه عن الشهيد بأنه حيٌّ عند الله لا يموت.

والشهيد لغة هو: **المقتول في سبيل الله، وسمي شهيداً لأن ملائكة الرحمة تشهده، وقيل: لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، وقيل: لأنه يشهد ما أعدّ الله من الكرامة بالقتل[٣].**

أما الشهيد في النص القرآني فقد جاء في أكثر من موضع منها:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون**﴾[٤].

والشهداء عند ربهم أحياء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾[٥].

---

(١) موسى. عماد. أثر المرجعيات الثقافية على أدب الطفل الفلسطيني. مؤتمر أدب الأطفال في فلسطين مكتبة بلدية البيرة. ١٨أيلول ٢٠٠٥، ص٨٨.
(٢) منصور. عبد المجيد. (١٩٨٢) :**علم اللغة النفسي**. ط1. جامعة الملك سعود. الرياض .ص١٠٣.
(٣) ابن منظور. (١٩٥٦): **لسان العرب**. مج١١، دار صادر، بيروت، ص٢٠٤.
(٤) سورة البقرة. الآية٥٤.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٦٩.

من هذا المنطلق الذي يفرضه الدين والواقع الذي قد يكون اقتبسه الصغار عن الكبار، أو يقلدونهم فيه لضراوة الصراع ومشاركة الصغار فيه، استطاع الأطفال أن يكوّنوا فكرتهم الإيمانية والجهادية حول الشهادة التي تعدّ من أسمى مراتب التضحية والبطولة التي أصبحوا يتوقون إلى بلوغها، ومن ذات المنطلق فإنهم يؤمنون بأن الله هو الذي يقدّر الموت ويمنح الحياة.

وقد جاءت المأثورات الشعبية لتؤكد هذا المفهوم ومنها: (**ما بصيبنا إلاّ اللي كتبه الله**)، و(**المكتوب ما في منه مهروب**)، و(**الأعمار بيد الله**)، و(**اللي مكتوب ع الجبين لازم تشوفه العين**)، و(**العمر محتوم والله اللي بقدر وبستر**).

هذا هو الشعار الذي يتبنّاه أطفال فلسطين في أثناء مواجهتهم للمحتل الذي يصرون على مقاومته لدحره وهزيمته، تحت مفهوم إما النصر وإما الشهادة، حيث (اهتم الشعراء الفلسطينيون الذين كتبوا شعرا للأطفال بالاتجاه الوطني، فأكثروا من نظم القصائد والأناشيد في هذا الاتجاه، كما أنه ورد منثورا بشكل أو بآخر في الاتجاهات الأخرى التي نظموا فيها للأطفال، إذ يلحظ القارئ كثيرا من المعاني والمصطلحات لا بل والشعارات التي يتناقلها عامة الناس في مناسبات كثيرة مبثوثة في ثنايا ما نظموه)(١).

وقد ترسخ هذا المفهوم في الشعر الفلسطيني الحديث في قصيدة يرددها الأطفال، للشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود:

(البحر المتقارب)

سأحمل روحي على راحتي　　وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق　　وإما ممات يغيظ العدى"(٢).

فالموت في سبيل الحرية، لا يلغي سوى الوجود المادي لمن يقضي من أجلهما، أما الوجود المعنوي فتخلده ذاكرة الأجيال، وتسمو به ضمائرهم ووجداناتهم على مر العصور والأزمان.

كما أن تجليات القصيدة الوطنية المكتوبة للصغار والكبار على حد سواء قد برزت في قصيدة الشاعر إبراهيم طوقان (موطني)، التي أصبحت نشيدا وطنيا لكل عربي يفاخر بوطنه ويعتز بالعيش فيه ويدعو له بالسلامة من الأعداء ورفض العيش في ظل الاحتلال،وذلك في قوله:

---

(١) الحبازي. مشهور. اتجاهات شعر الطفل في الشعر الفلسطيني المعاصر. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات. العدد الخامس عشر ٢٠٠٩، ص٢١٩.

(٢) محمود، عبدالرحيم. (١٩٥٨): **الديوان**. شركة الطباعة الحديثة، عمان، ص١٣.

مـوطني...مـوطني

الجــلال والجمـــال ... السـنـاء والبــهاء ... فــي ربـــاك... والحـــياة والنجـــاة والهنـــاء والرجـــاء ... فـي هـــواك... هـل أراك... ســالما منعّمـا وغــانمــا مـكرّما .. هـل أراك .. فـي عـلاك ...

موطني ...موطني(١).

هكذا أصبح الصغار يفهمون معادلة الموت والحياة، إنها مفاهيم الكبار واعتقاداتهم، فهو ليس موتاً ذليلاً، إنما هو فداءٌ يسعى إلى تحقيق أهداف نبيلة، أكبر من حياة الذل والاضطهاد، وأنقى من ظلمات الاحتلال وممارساته اللا إنسانية، فالوصول إلى حياة أعزَ وأفضل، والذود عن الحق والأرض والوطن، لا يعدُّ تحقيقاً لحلم فردي يتلاشى عند موت صاحبه، لأن خلود الشهيد يكون في ضمير أهله وشعبه ورفاقه وأمته، لاسيما أن مصدر هذا الخلود، هو تقدير الناس لمن ضحى بحياته، من أجل أن يعيش الآخرون أحراراً كراماً مطمئنين، السبب الذي أدى إلى ارتفاع نسبة الشهداء الأطفال في انتفاضة الأقصى، إلى أن أخذ الناس "**يتقبلون استشهاد الأطفال كحقيقة مسلمٍ بها، مثل موت الكبار، حتى وصل الأمر حد تمني الأطفال الشهادة**"(٢).

ومن منطلق هذا الواقع الذي يعيشه الطفل الفلسطيني، جاءت هذه التعبيرات بمختلف أشكالها القصصية والشعرية والمسرحية والفنية، لتظهرَ مفهوم الطفل الفلسطيني للشهادة، وصدق إيمانه في التضحية من أجل وطنه وأمته ليعيش حياة كريمة لينعم بالحرية والاستقلال على أرضه.

وقد أبرز القاص الفلسطيني حقيقة النظرة الطفولية إلى شهداء وطنهم، ومحاولتهم التميز بهذا الوسام الأسطوري إما في إقبالهم على الاستشهاد ، أو في التعبير عن مشاعرهم بالرسم أو اللعب أو غيره من الأساليب الطفولية الأخرى.

فالأحداث اليومية وحالات القتل المتكررة، هي التي تجعل أطفال فلسطين أكثر الناس إحساساً بواقعهم؛ لأنهم يقاومون من أجل الحرية والبقاء، فإما أن يكون منهم الشهداء، وإما أن يكون منهم الجرحى والمشردون والمعتقلون!!، إنه السؤال الذي يردده معظم الأطفال حينما يرون ضحكة أحلامهم تنهار تحت أقدام الغزاة، ويرون مقتل الأم والأب والأخ والصديق أمام أعينهم، مما يدفعهم للسؤال عن معنى الموت أو الغياب الطويل الذي يحرمهم حنان الأم والأب، ويأخذ منهم أحباءهم،إنهم يفرطون بالسؤال عن العلاقة الوثيقة بين الموت والحرية،عن القهر الذي يتعرضون له، والابتسامات المغتصبة التي لا بد أن تمسح وجوههم البريئة، والأسئلة مازالت على هذه الحال كثيرة:

---

(١) طوقان. إبراهيم (١٩٩٣)، الأعمال الشعرية الكاملة، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، ص٢٦٤.

(٢) ستانفورث، شارلوت. (٢٠٠٤): **أطفال بلا طفولة**. ترجمة مركز جنين للدراسات، عمان، ص١١.

"لم يفكر أحمد يوماً في الصلاة، لكنه أخذ يسأل والدته عن الصلاة، سمع منها أن الشهداء يذهبون إلى الله بعد الدفن، وفي اليوم التالي أفاقت عليه وهو يتوضأ استعداداً للصلاة"(١).

أمام كل هذه المعطيات يدفعهم التحرر من الخوف إلى دخول حلبة الصراع بقوة وصلابة، إذ ينعكس الموروث الديني والاجتماعي الذي يمثل البطولة في نفوسهم، وكذلك الواقع المر والأليم الذي يجعل مشاركة الأطفال في النضال الوطني أمراً لا بد منه.

وأصبح الموت عندهم لا يرتبط بالحزن والألم، وإنما بزغاريد النساء التي تنطلق عند تشييع الشهيد الملفوف بالعلم الفلسطيني، وإطلاق لقب العريس على الشهيد، ولقب العرس أو الزفة على موكب تشييع الشهيد،فكل هذه الشعائر الجنائزية تفرض أجواءً نفسية مؤثرة عند الطفل، ولا سيما أنها تتفق مع المفاهيم التي أصبح يعرفها ويتفق معها، **"فشخصية الطفل الذي يوجد شهيد في عائلته تتسم بالجسارة والشجاعة، ذلك أن الضغط الاجتماعي المرتبط بمفهوم الشهادة، يحرر الطفل من الشعور القوي بالخوف"**(٢).

صورة الشهيد في رسومات الأطفال

ظهرت صورة الشهيد في رسومات الأطفال التي احتلت قصة استشهاد الطفل (**محمد الدّرة**) فيها مكانة كبيرة، كما أصبح الحديث عن الشهداء وأسمائهم أمراً مألوفاً ومحبباً، ومفضلاً عن اللعب لدى الأطفال، وأصبحت البنات يزرعن الجرار بالورود والأزهار ويكتبن عليها أسماء الشهداء، وهذا ما يشير إلى تمجيد البطولة ومعنى الخلود الذي ينبع من الفهم الديني، ويؤكد انعكاسات الوعي العقائدي في النفوس.

لقد عكست رسوماتهم المفهوم الديني والواقع المأساوي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، إذ إنهم كانوا يرسمون الشهداء وكأنهم أحياء، من منطلق أن الشهداء أحياء... بل نائمون لا يموتون، وليس من الغريب أن بعضهم ممن لا تزيد أعمارهم عن (١٠ أعوام) كانوا يشاركون في مواكب التشييع، كما أن أكثر الأطفال الذين يرسمون الشهداء يقومون بتلوين الرسومات والبطاقات والورود التي تعبر عن الشهيد بألوان العلم الفلسطيني دلالة على الانتماء الوطني.

وتشير الطفلة آلاء (٩ أعوام) في لوحتها التي انتهت من تلوينها الى مسيرة كبيرة يرفع خلالها المتظاهرون الأعلام المختلفة، ويحملون على الأكتاف جثامين الشهداء، وتقول آلاء عن رسوماتها إنها مظاهرة أو مسيرة للناس، وهم يشيعون الشهداء الذين سقطوا في الانتفاضة، ثم تقول: لقد شارك أبي وأخي في المسيرة، وتمنيت أن أشارك فيها لتشييع الشهيد.

أما الطفل عبدالله (١٢ عاما) فينشغل في رسم منظر للرضيعة إيمان حجو التي قتلها الاحتلال في الانتفاضة، ويظهر من خلالها بشاعة الاحتلال وهمجيته.

(١) دراغمة، محمد. (٢٠٠١): **الانتفاضة تقلب أوراق الحياة العادية لأطفال فلسطين**. مجلة بلسم، العدد ٣٠٨، جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، البيرة، ص٦١.

(٢) ستانفورث، شارلوت: **أطفال بلا طفولة**. ص٣١.

وينهمك الطفل محمد (٨ أعوام) برسم جثث الشهداء ، ويزينهم بألوان العلم الفلسطيني ويغطيهم بالأزاهير والورود، ثم يقول وهو يشير الى رسوماته يجب أن نخرج لنشيعهم إلى المقبرة... إنهم شهداء[١].

صورة الشهيد في الموروث الشعبي

لقد اعتاد الشعب الفلسطيني على عدم البكاء أو العويل على شهدائه، إذ تستقبلهم النساء بالزغاريد، ويستقبلهم الصغار والكبار بالهتاف **(لا إله إلاّ الله والشهيد حبيب الله)، (بالروح بالدم نفديك يا شهيد)، "وبدأت الطقوس التي يقوم بها الناس حين يزفون عريساً منهم إلى عروسه، يستقبلون جثمان شهيدهم ويشيعونه..... وهذه المقاربة بين العريس والشهيد، ليست مجرد تعالٍ على صراخ الألم وتباريحه، أو مكابرة على أوجاع الفراق، وجراح الثكل واليتم، بل هي تعبير رمزي، عن وعي جماعي عميق، يرتبط بعلاقة وثيقة بين الشهادة والحرية والسلام"**[٢].

وتتمثل هذه المقاربة بين الشهيد والعريس، في الوعي الإنساني، بارتباط جدلي بين الشهيد ووطنه **"فالأرض في المعتقدات والمفاهيم العربية الأصيلة، هي عرض المرء وعنوان شرفه، ومن لا يضحي من أجل عرضه إذا اغتصب....؟، ومع التطور الدلالي لهذه العلاقة الرمزية، صارت الأرض هي الحبيبة، وصار الشهيد هو عريسها الذي افتدى حريتها وخلاصها بدمه"**[٣].

صورة أم الشهيد في القصة

لقد أبرز القاص الفلسطيني المشهد الجنائزي للشهيد على صورة زفة عريس، ففي قصة (هنية) أظهر الكاتب أم الشهيد بإحساس يتجاوز فيه مادية البشر، مما ترك أثرا بالغاً في نفوس الأطفال من خلال مشاهداتهم لتلك الصور.

"وعلى أكتاف الناس لاح صادق كبيراً عالياً.

زغردت هنية لابنها القادم المرفوع على الأكتاف، جاء يلقي نظرة أخيرة على البيت الذي كبر، واتسع بفضله لكل أهل البلد"[٤].

بهذا المشهد العرائسي يُزَفُّ الشهداء وتستقبل الأم ابنها، لقد جاء يتفقد البيت الذي عاش فيه وكبر، ليودعه منطلقاً إلى بيت الزوجية، وهكذا لو لم يكن للقارئ أو للسامع معرفة أنها زفة

---

(١) زقوت، عزت: **قسوة الحاضر في رسومات أطفال فلسطين**
www.elaph.com/Reports2005/2/42407.htm.

(٢) بدران، حسام. (٢٠٠١): **تداعيات الانتفاضة على سلوك الأطفال.** مجلة بلسم، العدد ٣٠٨، جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، البيرة، ص٥٩.

(٣) المرجع نفسه: ص١٤٦.

(٤) نفاع، محمد. (١٩٨٨): **هنية.** مجلة الاتحاد، حيفا، العدد ٤٤/٢٢٤، ص٤.

شهيد، لحسب الناس أنه عريسٌ تزفُّ الأم فيه ابنها بالزغاريد والورود، والتصفيق في بعض الأحيان، وبدلاً من المواساة في الكلمات المعهودة في حالات الموت والوفاة، فإن الناس يقولون للأم.... **مبروك يا أم الشهيد، ويعلنون عن أيام محددة لاستقبال المهنئين.**

وهكذا يتمنى الأطفال أن يكونوا رموزاً لهذا المشهد العرائسي.

فالمرأة الفلسطينية ليست أمّاً خيالية، ولا هي من عالم آخر، وإنما هي من مجتمع إنساني بسيط، قهرته الظروف، وطغت عليه الأحداث، بل هي الوطن الذي يحتضن أبناءه كما الأرض **(لذلك فإنه أمر طبيعي، وليس خارقاً أن ترى المرأة الفلسطينية وهي تزغرد عند تشييع جنازة أبنائها، وأن نراها عبر شاشات التلفاز، وهي تحمل في يدها صور أبنائها الشهداء)**[١].

صورة الشهيد في قصص الطفل الفلسطيني

تعددت صورة الشهيد في قصة الطفل الفلسطيني واتخذت أشكالاً متنوعة منها:

صورة الأرض مخضبة بدم الشهيد:

في قصة **(جمال الزين)** يستعرض الكاتب بهاء الأرض وزينتها لمّا تخضّبت بدم الشهيد فأينعت:

نظر جمال الزين إلى الأطفال والبيوت والجبال العالية والأشجار الخضراء.

وقال:

هذا وطني وسوف أدافع عنه

ثم قذف الأعداء بالحجارة

أطلق الأعداء النار على جمال الزين وقتلوه، فاكتست الأرض بالعشب الأخضر، وصار الوطن الذي أحبه جمال الزين أكثر بهاءً[٢].

الشهيد وشقائق النعمان

وفي قصة **(منقذ القرية)** يأخذ الشهيد شكلاً آخر، أكثر أُلفة لدى الشعب الفلسطيني، حين تمزج الكاتبة دمه بشقائق النعمان، التي تعد بالمفهوم الشعبي أنها اكتسبت لونها القاني من دماء الشهداء.

وفي هذه إشارة أخرى إلى الخلود والصور والمفاهيم التي يكوِّنها الناس حول الشهيد، تشجيعاً للآخرين.

قال إبراهيم وهو يشير إلى شقائق النعمان تملأ أرض فلسطين:

---

(١) حسان، حسان عبدالله. **المرأة الفلسطينية ومستقبل الانتفاضة**. ٢٠٠٥/٣/١٩ http://www-amanjordan

(٢) شقير، محمود. (١٩٩٧): **الولد الفلسطيني**. ط١، منشورات صلاح الدين، القدس، ص٤١.

ـ أترى هذه الزهور أيها القائد.... أترى شقائق النعمان ونسميها هنا الحنون؟

يقولون إنها تكثر في الأرض عند موت كل شهيد يستشهد في وطنه، وأنا أحبُّ أرضي أحبُّ القدس والخليل وصوريف.... وأحب شقائق النعمان....،!![١].

وفي قصتها (**عرس الروح- عبد الرحيم محمود**) تشارك الكاتبة أهل فلسطين في تشييع شاعرها الشهيد، وتقدم المشاهد للأطفال وكأنها حنّاء العريس ليلة زفافه، فتقول في جملة بسيطة قد وضعتها تحت صورة الشهيد في إحدى رسومات القصة"**القائد الشاعر وقد كسا دمه الأرض بالأرجوان، وأثقل بالعطر ريح الصبا، فنام ليحلم حلم الخلود**"[٢].

الشهيد وزفة العريس

ثم تسترسل في مشهد من مشاهد العرس الفلسطيني الذي يقام للشهيد، قائلة:

"لعله كان يريدهم أن يزغردوا، ليزفوا روحه إلى السماء. أو لعلّه كان يقول: ألا ترون. لقد خضبت الأرض بدمي، وحنيتها بالحناء لليلة العرس..... فهل أموت راضياً مرضياً؟

وهل أدخل الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء؟..... ألم أسر على خطى القسام وأبي كمال والأبطال الثلاثة والآلاف غيرهم من قبلي ومن بعدي؟ فهل سيحمل شعلة النضال من سيقرأ قصائدي وسيرة نضالي.....[٣].

لقد تميز المجتمع الفلسطيني في ظل النكبة والاحتلال في محاولة إظهار موروثه الثقافي والإنساني والاجتماعي، الذي تلقفه من الواقع وتلقاه عن الأجداد، لتحقيق الحرية التي يرجوها، ضمن تفاعلاته المختلفة الفنية والأدبية والتراثية، لاسيما أن الواقع (**يلعب الدور السحري للفن الذي يسلم مكانه تدريجيا لدور تنوير الناس، ومساعدتهم على إدراك الواقع الاجتماعي**) [٤] فبهذا الميراث العظيم والصور المؤثرة النابضة بالألم والأمل، يطمح الطفل الفلسطيني إلى حماية أرضه ووطنه وشعبه وبراءته من حراب المحتل انتظارا لغد مشرق يحقق فيه حلمه في الحياة.

منظور الطفل الفلسطيني للشهادة

يستشعر الطفل الفلسطيني قدوته البطولية من الشهداء ويطورها، ويتقبل أن يدفع دمه وروحه مهراً للبيت الذي يأويه؛ لأن هناك ما يدعم عوامل الإقناع والقبول.

فتنهض صورة الطفل البطل، التي تشكلت بداخله مع مرور الأحداث ومعايشته لمآسيها، إلى جانب إحساسه بالذل والظلم والمهانة، نتيجة لاستلاب طفولته، واغتصاب حقوقه، وعدم

(١) الهدهد، روضة الفرح. (١٩٩٠): **منقذ القرية**. دار كندة، عمان، ص١٨.
(٢) الهدهد، روضة الفرح. (١٩٩٠): **عرس الروح**. دار كندة، عمان، ص٣٢.
(٣) المصدر نفسه: ص٣٢.
(٤) عياد، شكري: **الأدب في عالم متغير** . ط١. ص١٣٣.

توفر البيئة التي توفر له الحرية والحب والأمان، لاسيما أن انتماءه لثقافة دينية واجتماعية ووطنية تمجد الحرية والاستقلال والتضحية في سبيل الوطن، تجعله لا يخشى الموت ولا يهاب رصاص الاحتلال القاتل، ويمكن تلخيص كل ذلك بعنصر المقاومة والتحدي، والإصرار على تغيير الواقع المظلم، وملاحظة أن الطفل الفلسطيني قد اكتسب أنماطاً سلوكية وقيماً واتجاهات، وأفكاراً ومفاهيم خاصة؛ جميعها تدور في فلك حبه للشهادة في سبيل الله، والتطلع إليها بشوق وإقبال نشط.

ومن النماذج الدالة على هذا المفهوم الاستشهادي لدى الأطفال، ما جاء في مجلة الأمة الفلسطينية في لقاءات أجرتها مع بعض الأطفال الجرحى في انتفاضة الأقصى، منها:

١. **الطفل محمد عدوان:** لم يتجاوز من العمر أكثر من تسعة أعوام، وقد أصيب في إحدى المواجهات مع قوات الاحتلال، وبينما كان الطبيب يحاول إيقاف نزيف الدم المتدفق من جرحه، سأله الطفل محمد إلى أين ستأخذونني؟ فقال له إلى مستشفى الشفاء لتلقي العلاج، فقال الطفل أنا أتيت إلى هنا لأشارك في الدفاع عن المسجد الأقصى؛ لكي أستشهد، **أرجوكم أعيدوني إلى مكاني لأستمر في المواجهة حتى استشهد...** فأجهش بالبكاء وهو يقول: **لقد كان حلمي الشهادة، ولم أذهب إلى (نيتساريم)**- مفترق الشهداء، موقع العدو الصهيوني- **إلاّ بحثاً عن الشهادة، وأنا حزين لأني لم أستشهد**[(١)].

٢. **شادي أبو دقة:** لم يبلغ من العمر سوى أحد عشر عاماً، وهو الذي قام بإنزال العلم الإسرائيلي عن ساريته فوق الموقع العسكري الصهيوني في **(نيتساريم)**، يتحدث بحسرة وألم، حينما كان يعالج في المستشفى: **أنا لست سعيداً لأنني كنت أتمنى الشهادة**، وتقول والدته **إنه ودّع إخوته قائلاً لهم: أنا ذاهب للشهادة**[(٢)].

بهذه الصور الناطقة يتميز الوعي الاستشهادي لدى أطفال فلسطين، الذين آثروا الموت في حياة الشعب، على العيش في ذلّ الوطن، تحقيقاً لمفهوم الحرية والخلود الذي تشربته الأجيال وكبرت وترعرعت على شعائره وطقوسه. فلو لم يعرف هؤلاء الأطفال معنى الشهادة، ولم يدركوها جيداً، لما انطلقوا بحثاً عنها، وليس في حوزتهم سوى إيمانهم بالله، وإرادتهم القوية، وأكفهم الصغيرة المعبأة بالحجارة الصغيرة. فالطفل يتطلع إلى الحرية ويتوق إلى التمتع بها كأي مخلوق آخر، وحينما يستطيع المجتمع فهم عالمه والوقوف على رغباته وحاجاته وتطلعاته، يكون بذلك قد أعدّه للإفادة من حريته بصورة صحيحة، وبالتالي فإنه من الضرورة بمكان أن يبرز في قصص الأطفال ما يسهم في تطوير هذا الإحساس، لتعميق العلاقة بين الطفل والبيت الذي يعيش فيه والأرض التي يلهو بين أحضانها، وكذلك الإحساس بالصور الجمالية للوطن وبث روح التضحية والفداء من أجله[(٣)].

---

(١) حسان، حسان عبدالله: **المرأة الفلسطينية ومستقبل الانتفاضة**. ص٢.

(٢) المرجع نفسه: ص٢.

(٣) بدوي. مرزوق. أناشيد الأطفال في الشعر الفلسطيني الحديث من سنة ١٩٢٠ــ ١٩٤٨. رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية. نابلس ــ فلسطين. ٢٠٠٤، ص٥.

ثانياً: الوطن

يظل الحنين إلى الوطن قيثارة العشق التي يعزف عليها الفلسطيني نشيد العودة، فيداعب أحلامه وآماله التي أنهكها ظلام النفي وتعب الرحيل المستمر، ليرسم أطفال فلسطين صورة الوطن على أوراق دفاترهم، أو يبنونه في ألعابهم من حجارة الأرض وترابها وحشائشها، أو يتركون له الخيال استلهاماً للحرية التي يفتقدونها.

لقد عانى أطفال فلسطين وجع التشتت والضياع، فما تفتحت عيونهم إلاّ على حراب المحتل ومخيمات اللاجئين، يسكنون الكهوف والمغائر والخيام، دون وطن يأويهم، أو هوية تنسبهم إلى الأرض التي ولدوا أو ولد الآباء فيها كما هي الأمم والشعوب الأخرى، فسكنوها.... وعقدوا الأحلام على رمالها.

فحينما قامت إسرائيل عام ١٩٤٨، طُردت الأغلبية العظمى من الشعب الفلسطيني من وطنهم بالقوة والتخويف، مما أدى إلى الهروب من الوطن وضياعه، فعاش أبناء فلسطين تجربة الخوف، وعانوا من الفقر والجوع، في الوقت الذي ينعم فيه المحتل بثروتهم الوطنية، وبقي أطفال فلسطين تتجاذبهم حالة من التيه والفزع، والشعور بفقدان الوطن، حتى وإن كان بعضهم يعيش على ترابه، مع أن وجود بعضهم على أرضه، لم ينف عنهم فقدانهم لوطنهم؛ لأنه لا قيمة لهذا العيش ما لم يتمتع الفلسطيني بحريته وكرامته.

فالناس يدركون معنى الوطن بالفعل والقول والعمل، وليس باستطاعتهم نسيان هويتهم الوطنية؛ لأن بمقدورهم التعبير عنها بشكل دائم، والفلسطيني أكثر إدراكاً من غيره أن الهوية الوطنية".

(ليست مجرد أرض ذات حدود، أو سيادة، أو نظام حكم، أو نظم اجتماعية، أو تراث، أو ذكريات، أو ماضٍ يجمع بين أفراد وجماعات من الناس على أرضٍ واحدة، إنها جميع هذه الظواهر وبدرجة أعلى في النفس البشرية)[(١)].

وهو الذي عاش تجربة فقدان الوطن، فانطبعت الهوية الوطنية بسلوكياته وممارساته بأشكال محددة، وإذا كانت الوطنية"**هي محبة الأرض وأهلها والتعلق والاعتزاز بها، وما يتطور عن هذا الحب والتعلق والاعتزاز من أعمال هدفها حماية الأرض والذود عن حياضها**"[(٢)]، فإن لكل فرد من أفراد المجتمع طريقته المختلفة التي يدرك من خلالها الوطن وحدوده، وكل فرد يهتم بإعطاء معنى للوطن.

ويظل حلم الوطن الدافئ ناقوس الأمل الذي يعيش بداخل أطفال فلسطين، في قصصهم وكتاباتهم وآدابهم التي يروق لهم من خلالها شكل الوطن الذي يحلمون به.

---

(١) سند، غسان منير حمزة، وعلي أحمد الطراح. (٢٠٠٢): **الهويات الوطنية والمجتمع العالمي والإعلام**. ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ص٢٤.

(٢) ناصر، إبراهيم: **التربية المدنية**. ص١٢٥.

صورة الوطن في عيون أطفال فلسطين

لم يكن الوطن مجرد كلمة تقال، أو صورة عابرة في بحر أحلام الطفولة، وإنما هو البيت الدافئ والحديقة الجميلة، التي يترعرع فيها الأطفال، وتكبر فيها ضحكتهم البريئة، وتستمر الصورة تتفاعل في نفوسهم إلى أن يصبح الحلم حقيقة، والصورة واقعاً ينبض بالحياة والسعادة والأمل.

وفي قصة (**الأطفال يحلمون نهاراً**) يستعرض الكاتب الرؤيا الطفولية للوطن، والمفهوم البريء لتصورات الأطفال المتمثلة في: البيت، الحديقة، المكان الجميل، كلها أوصاف ذات معنى تعبر عن ضرورة أن يكون للإنسان وطن، وكذلك التعاون ما بين الجميع لإنجاز بناء (البيت-الوطن):

وبينما كان الأطفال يلعبون في الحديقة:

قالت جوانا: نبني بيتاً.

أعجب الجميع بفكرة جوانا، وراحوا يقسمون الأعمال فيما بينهم:

علي يجمع الحجارة.

سوسن تنقل الحجارة.

خالد يبني الحجارة.

جوانا تناول الحجارة لخالد وتساعده في البناء[(١)].

ويستمر العمل في تعاون وتفانٍ في بناء(البيت- الوطن) الذي قد يأخذ في كثير من الأحيان مسميات رمزية، تؤدي جميعها بالنتيجة إلى إدراك أهمية الوطن:

قال علي: هذا البيت يقينا المطر والبرد.

قالت سوسن: هذا البيت نتزوج، ونعيش فيه.

قال خالد: هذا البيت يحمينا من الأعداء.

قالت جوانا: هذا البيت وطن صغير [(٢)].

من خلال هذا المفهوم البريء للوطن، ينطلق الطفل الفلسطيني التائه بين عذابات الحاضر، والخوف من المستقبل، لم ينس وطنه حتى في أوقات لعبه، فالوطن شيء يخالج النفس، ويطفو فوق مرارة العيش، والغربة التي قد يشعر بها على أرضه وداخل حدود وطنه، وتبقى حالة التفاعل ما بين الحقيقة والخيال، حتى يصبح الحلم الواقع المأمول.

(١) عويس، محمد. (١٩٩٧): **الأطفال يحلمون نهاراً**. اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ص٣.
(٢) المرجع نفسه: ص٣.

ويتناول الكاتب في قصة (جمال الزين) الوطن من زاوية أخرى، حيث يعبر عنه كما يراه الأطفال ويريدون له أن يكون، وفي براءة الصغار يسأل الطفل أمه عن الوطن

ـ أمي، ما هو الوطن....؟

ثم أضاف: المعلم قال لنا: الولد النبيل يحب وطنه!

قادته أمه إلى شرفة البيت وقالت:

ـانظر إلى هذه المساحات والبيوت، هل تراها؟

قال:

ـ نعم

قالت:

ـ وانظر إلى تلك السهول والجبال والأشجار، هل تراها؟

قال:

ـ نعم

قالت:

ـ هذا هو الوطن

....

....

صاح جمال الزين:

ـ أحب وطني[1]**.**

وفي قصة **(أجمل البيوت)** ترسم الكاتبة صورة الوطن برمزية واضحة، حين أطلقت على الاحتلال(الصياد) وأسمت الوطن(الحديقة)، وأظهرت تمادي هذا الصياد بمنع الأطفال من اللهو واللعب في حديقتهم، وكذلك معاناة الأطفال وحرمانهم من ممارسة طفولتهم البريئة، وبينما كان الأولاد يهمّون ببدء السباق حاول الصياد الدخول إلى الحديقة،

قال فادي: ماذا تريد أيها الرجل؟

قال الصياد: أريد أن أصوّب بندقيتي نحو الشجرة الكبيرة، فإن فوقها عشّاً مليئاً بالعصافير.

(١) شقير، محمود: **الولد الفلسطيني**. ص٣٩.

ـ لكن هذه حديقتنا، وهذه الشجرة لنا، وأنت لم تستأذن في الدخول.

....

ـ نحن لا نسمح للغرباء بالدخول إليها أو الصيد فيها.

رفض الصياد الابتعاد عن الحديقة، وأكد لفادي وأمه وللصغار أن أحداً لن يمنعه من الدخول والصيد.

....

وبعد أن حاول الصياد في اليوم التالي منعهم من اللعب في الحديقة.....

قال فادي: هذا بيتنا، وهذه حديقتنا، وأنت الذي يجب أن تغادر المكان.

....

ذهبت أم فادي إلى جيرانها تطلب مساعدتهم، لكن الجيران خافوا أن يستبدلها بحدائقهم(1)**.**

لقد قدم كتاب فلسطين الوطن لأبنائهم، ضمن مسميات كثيرة منها: ألفاظ وعبارات تدخل السعادة إلى قلوبهم (الحديقة، أم فادي، البيت، الأرض، الكرم، اللهو، اللعب)، وبهذا المفهوم يكبر الوطن في نفوس الأطفال، وهو المكان الهادئ والآمن والجميل الذي يلهو الأطفال بأحضانه، ويلعبون في حياضه دونما خوف أو مهانة، وفي قصة أجمل البيوت تستعرض الكاتبة تاريخ القضية الفلسطينية بشكل مبسط يرتقي إلى مدارك الأطفال، مبينة من وقائعها مواقف الأنظمة العربية التي تهاونت في ضياع فلسطين، فقد حزنت أم فادي **"لأن جيرانها لم يعودوا يسألون عنها، واكتفى كل منهم بحماية بيته"**(2).

وفي قصة **(ثوب سوزان)** ضمن مجموعته القصصية **(الأطفال يحلمون نهاراً)**، يتناول الكاتب مفهوماً رمزياً آخر للوطن، من خلال احتضانه للتراث وارتباطه الوثيق به، وسرقة الاحتلال للزي الشعبي الفلسطيني، إلى جانب كثير من الرموز والمظاهر التراثية التي تختص بالمجتمع الفلسطيني، وتستعرض هذه القصة ذكريات الطفلة سوزان، التي كانت دائماً مزهوة بثوبها المطرز وهي صغيرة، تخرج إلى الشارع تلعب فرحاً به وبطفولتها، وبعدما كبرت سوزان وتخرجت في الجامعة، وركبت الطائرة لإكمال دراستها في الخارج، "شاهدت سوزان مضيفات الطائرة يرتدين أثواباً مطرزةً تشبه ثوبها الضائع، بل المسروق، إنه هو هو، لا شيء جديد سوى تلك النجمة.

(١) الطويل، إيمان. (٢٠٠٢): **أجمل البيوت.** مركز اوغاريت، رام الله، ص١٢.
(٢) المصدر نفسه: ص١٦.

قالت سوزان: النجمة ليست جميلة، إنها غير منسجمة مع الخطوط والرسوم الأصلية، أنا لا أحب النجمة، أحب ثوبي دون نجمة(١).

إذن هذا هو الوطن(الثوب) ولكن عليه شيئاً جديداً، إنه الاحتلال الذي لم يسرق الوطن فحسب، وإنما سرق تراثه وانتماءه، سرق الثوب.

فصورة الثوب المطرز وعليه شعار الاحتلال، الذي يرمز إليه ب(نجمة داوود)، هو ذلك الشيء الجديد الذي يعبر عن سرقة الأرض والتراث والهوية، وطمس أحلام الأطفال وبراءتهم.

ومن الصور الجميلة للوطن هو ما جاء في قصة الطفلة لينا سالم- الصف الخامس الأساسي، (حب الوطن)، حيث تصف أهمية الوطن لدى الإنسان وجماله، وضرورة التضحية من أجله، فالإنسان بلا وطن كالعصفور بلا عش وأولاد لديه،..... والوطن هي كلمة صغيرة، ولكن معناها كبير جداً. كل من يدافع عن الوطن وترابه يعرف المعنى الذي يقصده هذا الوطن(٢).

ومن خلال هذا العرض لمفهوم الوطن لدى أطفال فلسطين، يلاحظ أنه يأخذ أشكالاً وصوراً متعددة، وجميعها تتعلق بالجوانب الجمالية الطبيعية التي يحبها الأطفال ويتعلقون بها.

(الجبل، السهل، الشجر، القمر، العصافير، البيت، التراث، الثوب، الدفء، الحجارة، البناء، اللهو، اللعب)، ألفاظ متعددة، تحمل معاني كبيرة لها دلالاتها الواضحة في نفوس الصغار والكبار، وكلها تشير إلى شيءٍ جميل، وتشكل أساساً في تكوينه، ألا وهو الوطن، الذي يبحث عنه الفلسطيني في حلمه ويقظته.

ثالثاً: الأرض

إن حب الفلسطيني لأرضه حب فطري، وحنينه إليها طبيعي، ويأتي هذا الحب وهذا الحنين من خلال علاقته بها، وقد ظل هذا الارتباط الوجداني كامناً في نفسه، منذ مرحلة الطفولة التي كان يلهو من خلالها بحجرها ورملها وترابها، ويداعب أشجارها وأزهارها، وينعم بجمال طبيعتها، إلى أن يكبر حاملاً في صدره وذهنه ومشاعره تراثاً كبيراً من ذكريات الطفولة البريئة، التي تهفو نفسه إليها بصورة دائمة، فالوطن عنده هو الأرض، والأرض هي الوطن الدافئ الذي يحتضن ذكرياته، ويربي فيه أبناءه. لذلك (نجد أن كلمة – الأرض- تحمل دلالات مختلفة أهمها: ارتباط الأرض بالسعادة والهناء، لا سيما أنها الكيان الوجود للعائلة والشعب، كما أنها الميراث التاريخي الفلسطيني، إذ انتقلت من الآباء إلى الأجداد وإلى الأحفاد في متوالية زمنية غير منقطعة)(٣).

---

(١) عويس، محمد: **الأطفال يحلمون نهاراً**. ص٣٩.
(٢) طلبة، مدارس فلسطين. (٢٠٠٤): **قصص وحكايات منقوشة في الذاكرة**. ط١، رام الله، ص٧٠.
(٣) موسى، عماد. أثر المرجعيات الثقافية على أدب الطفل الفلسطيني، ص٨٩.

لا يمكن أن يكون الالتصاق بالمكان جامداً، بل لا بد أن تكون للإنسان علاقة تفاعلية به، وتأثير وتأثر إيجابي، حتى يضمن استمرار بقائه، ويستعذب الموت في سبيل حريته والحفاظ على استقلاله.

كيف لا....؟ وهي الأرض التي امتلك فيها إرادته،"وكوّن من طبيعتها وجدانه، وهي في وجدان الفلسطيني تاريخه الطويل، تراب معجون بالعرق والدم، وشجر مزروع بأيدٍ مجروحة مدماة، أعطاها جهده فأعطته ثمرها، وأعطاها عرقه فأعطته رائحتها، دفن فيها شهداءه فأعطته عظمة الأسطورة[١].

مفهوم الأرض في الموروث الديني والاجتماعي

تشكل الأرض ركناً أساسياً في حياة الإنسان، إذ يبني عليها آماله ويتمحور حولها كفاحه في تجسيد طموحاته وأحلامه إلى واقع ملموس.

وبهذا المعنى ينطلق الفلسطيني ليربط الأرض بالعرض، فيقول:(**اللي ما إلو أرض ما إلو عرض**)، حيث تبرز معادلة ثنائية التكوين (**الأرض= العرض**)،(**الأرض= المرأة**)، وهناك من يساوي بين الأرض والدين، فالذي يتخلى عن أرضه يتخلى عن دينه، وفي الوقت الذي كان من المفترض أن لا يربط الإنسان فيه الشرف والاحترام بالقيم المادية، علّق الفلسطينيون عامة والفلاحون خاصة، أهمية بالغة على ملكية الأرض، حتى أصبح فقدان الأرض يَعني فقداناً للاحترام، ولا يُستعاد هذا الاحترام إلاّ بالنشاط النضالي، ولم يكن أمامهم لاحترام أنفسهم واحترام الآخرين لهم، إلاّ النضال والمقاومة لاسترجاع الحق المفقود، لاسيما أن الفلسطيني لم يكن في ذهنه يوماً من الأيام أن ينسى ارتباطه بأرضه، والاستقرار بعيداً غريباً عن وطنه، ولم ينجم عن هذا الشعور سوى ازدياد التصميم على العودة[٢].

كما أن الذاكرة الفلسطينية تحمل قداسة خاصة لفلسطين، إذ يعتقدون أن أرضها أرض مباركة بدليل النص القرآني الكريم: ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**ونجّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها**﴾[٥]، ومعنى البركة هنا هو ما حظيت به من مكانة، كونها مهبط الملائكة والأنبياء، وكذلك لما فيها من ثمار وخيرات ونِعمٍ كثيرة.

---

(١) حسونه، خليل إبراهيم. (٢٠٠٢): **المثل الشعبي العربي الفلسطيني**. ط١، دار ابن خلدون، غزة، ص٧٤.
(٢) صايغ، روزماري. (١٩٨٠): **الفلاحون الفلسطينيون**. ط١، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ص١٥٧.
(٣) سورة الإسراء: الآية١.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٧.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٨.

وهي أرض مقدسة بنص القرآن الكريم، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام:﴿**يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم**﴾(١).

لقد جعل الله أرض فلسطين مهبط الرسل والأنبياء جميعاً، "**ولذلك فإن المسلمين عندما يقرؤون القرآن الكريم يشعرون بارتباط عميق بينهم وبين هذه الأرض؛ لأن ميدان الصراع بين الحق والباطل تركَّز على هذه الأرض، ولأنهم يؤمنون بأنهم حاملو ميراث الأنبياء ورافعو راياتهم**"(٢).

فأرض فلسطين معراج الرسول محمد- عليه الصلاة والسلام- وهي بوابة الأرض إلى السماء، كما أن ترابها مجبولٌ بدماء الشهداء المدافعين عنها تاريخيا" **ويعتقد الريفيون أن ذلك هو سبب احمرار تربتها المسماة(سَمَكَة)**"(٣)، إضافة لذلك فإنها تكثر فيها مزارات وأضرحة ومقامات الأنبياء، وبذلك يكون قد شرّفها الله تشريفاً عظيماً، عدا عن أنه جعلها سبحانه وتعالى أرض المحشر والمنشر.

ومنذ ذلك الوقت"**تنامى لدى الفلسطينيين التمسك بأرضهم وتقديسها، وشيئاً فشيئاً صاروا ينظرون لها كجزء من شرفهم، وأصبح التخلي عنها معيباً، فقالوا: الأرض كالعرض، تدنيسها عار، والتخلي عنها نذالة**"(٤).

لا يختلف الشعب الفلسطيني عن غيره من الشعوب الأخرى، فهو يحن إلى أرضه وزرعه وحجر بيته، وأبناؤه "**مجدون ونشيطون وفخورون بمقدرتهم على زراعة الصخر، إنهم يحبون أرضهم بطريقة خاصة جداً، فهم يلمسونها ويشمّونها ويعرفونها قطعة قطعة وحجراً حجرا**"(٥)، لتظل معالمها مطبوعة على ملامح أهلها، واضحة راسخة تتفاعل معها منذ القدم، فالتاريخ لا ينحني ولا يسجل أحداثه إلاّ لشعب احترم أرضه، فحرثها وزرعها، وحفرها وبنى عليها، وأقام المدن وأنشأ القرى، ليحفظ تراثه، ويعمق أصالته، ويصقل انتماءه بالحنين الدائم إليها.

فالأرض مصدر الحب والقوة والعطاء، ولا بد أن يتفاعل الإنسان معها، للحفاظ على وجوده التاريخي عليها، فيستلهم من صفحاته وقود نضاله للدفاع عنها.

وبما أن معظم اللاجئين من الفلاحين بحكم الطبيعة الزراعية لفلسطين، فقد ارتبطوا بأرضهم أكثر من غيرهم، وكانت قوة الانتماء للقرية تظهر من خلال الأسلوب المعيشي الذي استمر في المخيم"**فالأطفال الصغار يعرفون عادة القرية التي جاءت منها عائلاتهم، ويستمر**

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢٠.
(٢) صالح، محسن محمد. (٢٠٠٣): **فلسطين**. ط٢، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ص٥٤.
(٣) القلقيلي، عبدالفتاح. (٢٠٠٤): **الأرض في ذاكرة الفلسطينيين**. مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني، رام الله، ص٢٠.
(٤) المصدر نفسه: ص٢٠.
(٥) صايغ، روزماري: الفلاحون الفلسطينيون. ص١٦.

الوعي بالانتماء إلى القرية على الرغم من الغلاف الذي اكتسى به، والمتمثل بالوعي الوطني الذي بثته حركة المقاومة"[١].

صورة الوطن في ذاكرة الطفل الفلسطيني

لقد كان الفلسطيني يرسم لأرضه صورة جميلة يطلق عليها (**الفردوس المفقود**)، فليس من الغريب أن يتملكه شعور الثورة والمقاومة، لاسترجاع جنته الجميلة، وكتابة التاريخ كما يجب له أن يكتب.

لم يكن أثر النكبة على هذه القيم وهذه الأحاسيس ليطفئ نارها، أو يدمر أصولها ويجفف منابعها، بل كان حافزاً قوياً في توليد مشاعر النضال الوطني، فإيمان الفلسطيني كان يُرسّخ في أعماقه، أن طريق النضال هو بداية الطريق للعودة إلى فلسطين.

فالرجل الذي كان عمره سبع سنين عندما طُرد من وطنه، يستطيع أن يتذكر الكثير من التفاصيل الحيّة عن قريته:"**إذا سألتني عن قريتي، فإنني أستطيع أن أتذكر أكثر الأشياء أهمية، وحتى الأشياء الصغيرة، أعتقد أن السبب في ذلك هو الحرمان، ثم أن أهلنا يتحدثون دائماً عن الماضي وعن أرضهم، فتنطبع هذه الأشياء في عقل الطفل الفلسطيني، ويشعر بالفرق بين تلك الحياة والحياة التي نعيشها، ويتمنى أن تعود تلك الحياة وأن تصبح حياته جزءاً من تلك البلاد- فلسطين- "**[٢].

إن استعادة رائحة البرتقال، وأزهار شجر الزيتون في فلسطين، من خلال الذكريات الجميلة، هي الوسيلة الممكنة لتوريث الأطفال الأرض التي كانت ميراثهم، فمعظم الفلسطينيين الذين يدركون أن بيوتهم ومدنهم وقراهم قد دمرت تماماً، وقد تغيرت أسماؤها وملامحها وتقاسيم وجهها أيضاً، لا تتسبب في قطع روابطهم بالأرض، وإنما تعمل على تسييسهم، وتجييش مشاعرهم، فالاضطهاد يُولّدُ في الإنسان الوسائل التي يحتاجها لتمهيد الطريق للمقاومة ضد مضطهديه.

فالأرض بالنسبة للإنسان بصورة عامة والفلسطيني بصورة خاصة، هي أصل الهوية الثقافية والاجتماعية والإنسانية، إلا أن الواقع الفلسطيني له ظروفه التي يتسم بها، فهو واقع يعاني من القهر والغربة والألم، واستلاب الأرض وتغيير معالمها، فاستعمال أرض فلسطين بهذا المفهوم (يهدف إلى التأكيد على الأرض من جهة وعلى هويتها من جهة أخرى، أما الدار والديار والأهل فتوجد بينهما علاقة عضوية وترابطية وتاريخية ونفسية واجتماعية، من هنا يتفجر الألم في عروق الفلسطيني بضرب أحد أركان هذه العلاقة ــ الإنسان أو الدار أو أحد ركني العلاقة الإنسان والأرض)[٣].

---

(١) المصدر نفسه: ص١٢.
(٢) صايغ، روزماري: الفلاحون الفلسطينيون. ص٨.
(٣) موسى. عماد. أثر المرجعيات الثقافية على أدب الطفل الفلسطيني. ص٨٩.

وتتحدث طفلة لا يزيد عمرها عن خمسة عشر عاما عن بعض الأثر الذي تركه تعلّق الوالدين بفلسطين على أبنائهم:"**مرة في البيت-عندما راح أبو عمار إلى الأمم المتحدة- انتقل الحديث إلى الماضي، وكيف كانوا يعيشون، كانوا يبكون وهم يتحدثون بسبب تعلقهم بوطنهم، إن كل من يجلس معهم يستطيع أن يفهم عن فلسطين أكثر مما يفهم في الاجتماعات، لأنهم كانوا يعيشون هناك، لكن أكثر ما أثر بي هو بكاؤهم؛ لأن أرضهم كانت عزيزة كثيراً على قلوبهم**"[١].

وعلى لسان فتاة عمرها سبعة عشر عاما تنتمي إلى جيل النكبة، وذلك بناءً على ما كانت تسمعه من جدتها: "**كان آخر شيء يفكرون فيه هو أن يخرجوا من فلسطين، بعض الشباب المتعلم فقط أدرك في النهاية أن وطنه في خطر، لم يكن هناك وعي. كانوا يعيشون ليومهم، يضحكون ويلعبون ويغنون ويخرجون في مشاوير(نزهات)، وعندما كان الشباب والصبايا ينتهون من أعمالهم، كانوا يفتشون عن عرس كي يتسلوا، لم يكن هناك سوى الفرح، لم يكونوا يرون صعوبات الحياة**"[٢].

وبين أمواج الحزن والأسى، و خفقات العشق والحنين، بقيت الذاكرة الفلسطينية دائمة الحضور، تنتقل من جيل إلى جيل، عبر الرواية الشفوية، والتاريخ المكتوب، والفنون الأدبية الجميلة تأكيداً على الحق المغتصب، وتطلعاً إلى الحرية المحتجزة.

دور القصة في ربط الأجيال بحب الأرض - الوطن

إن تسليط الأضواء بصورة جلية على الواقع الفلسطيني، يُعدُّ تنشيطاً عملياً لعواطف الأطفال ومشاعرهم، وعرضاً إيجابياً للصورة الفلسطينية بمختلف أشكالها، تلك التي تخص واقعهم بصفتها الجرح العميق والمؤلم في حياتهم؛ إذ إن لكتاب القصة الطفولية في فلسطين دوراً مهماً في تغذية الأطفال بمفاهيم تتعلق بأرضهم ووطنهم، وتسهم في بلورة شخصياتهم ونفسياتهم الإنسانية، وحثهم على التمسك بالأرض والعناية بها، من خلال حرثها وزرعها وتعميرها، وعدم إهمالها أو نسيانها.

ولكن حينما غاب الأجداد عن الأرض، وأهملها الأطفال والشباب، وما عاد الأطفال يصعدون إلى جبل القرية بحثاً عن الأزهار، ليصنعوا منها القلائد، أو يضعوها في مزهريات يزينون بها البيوت.

وفي قصة (**سوسنة والشاة**) يتحدث الكاتب عن فقدان الأرض لجيل الأوائل الذين كانوا يحرثونها ويزرعونها ويهتمون بها، فأطفال القرية مشغولون عنها، يقضون معظم أوقاتهم على شاشة التلفاز، وأصبحوا يشترون قلائد معدنية من المدينة، بدلاً من صنعها من الأزهار، وفي إحدى الأيام طلبت سوسنة من الشاة أن تصحبها معها إلى القرية، ودار حديث دافئ بينهما،

(١) المصدر نفسه: ص٩.
(٢) المصدر نفسه: ص٢١.

تتضوع من خلاله رائحة الذكريات الجميلة، وفي سؤال سوسنة عن أطفال القرية، ردّت عليها الشاة وقالت:

- ليس في عالم القرية ما هو أفضل مما لديك هنا، أمّا الأطفال فقد كبروا وصار لكل واحدٍ منهم ما يشغله.....

قاطعتها سوسنة خائفة:

أو لم تعد القرية تنجب أطفالاً؟

- بلى، ولكن....

فتساءلت سوسنة بصوت حزين:

- لكن ماذا؟ قالت لي أمي نقلاً عن جدتي عن أمّها، إن أطفال القرية كانوا دائماً يأتون إلى الجبل بحثاً عنا، ويصنعون منا قلائد أو يضعوننا في وعاءٍ فخّاري فيه ماء، يزيّنون بنا البيت، لنعيش معهم أجمل أيام حياتنا، فماذا حدث؟(١).

إن في حديث سوسنة والشاة خوفاً واضحاً على مصير الأرض، وعلى الفلاح الذي هجر أرضه وذهب إلى المدينة، ورجاءً حزيناً للحفاظ على ما تبقى من الأرض بعد مصادرة أجزاء كبيرة منها، ومحاولة إعادة البهجة والحياة إليها من خلال حرثها والعمل على رعايتها وزراعتها، مهما كانت الظروف.

وفي قصة (**أرض المحبة**)، إيحاءٌ جليٌ للحفاظ على الأرض والتمسك بها، فالعنوان هو عبارة عن لفتة لطيفة للأطفال، تحثهم من خلاله على حماية الأرض والتعلق بها، من خلال الإقبال عليها بالعمل والنشاط والزراعة، وفي موقف الطفل المقعد (**شادي**) الذي جاء إلى أصحابه في البستان على كرسيه المتحرك، لغزٌ عميقٌ يفسر علاقة الحب الفطري بين الإنسان وأرضه، وإصرار شادي على مشاركتهم في تنظيف الحجارة، وكذلك الإسهام في زراعتها، وقد تعرض للموت وهو يعمل فيها حينما انطلق كرسيه المتحرك وكاد يفتك به، فحالة الموت التي تعرض لها شادي من أجل الأرض، يعد تفسيراً آخر لمفهوم التضحية في سبيلها، وعلاقة الحب الحميمة بينها وبين الإنسان.

كان شادي يقول:

اتركوني. ماذا تريدون مني؟

سألوه: لماذا تبعد إذن؟ لماذا تركتنا؟

أجاب شادي: لأنني أحب الزراعة، ولا أستطيع أن أنزل إلى التراب وأزرع(٢).

---

(١) رمضان، محمد إسماعيل. (٢٠٠٣): **سوسنة والشاة.** ط١، مركز اوغاريت، رام الله، ص٩.
(٢) أبو محمود، دانا. (٢٠٠٣): **أرض المحبة.** ط١، مركز أوغاريت، رام الله، ص١٠.

وفي قصة (**الموسم القادم**)، يستعرض الكاتب اهتمام الأجداد بالأرض، وإعطاءهم الدروس والعبر في حماية الأرض من الإهمال، وعدم تركها لقمة سائغة للغرباء، ذلك لأن حرثها وزرعها والعناية بها يبعد الخوف عنها، وقد كان أبو العبد يذهب إلى حقله بصحبة ولده فيسند ظهره على زيتونة من عمر الأجداد، ويترك ابنه مع الثور يحرثان الأرض ويهيئونها للزراعة، وهو ينظر إليهما بشيءٍ من البهجة والفرح والحنان.

"سحب أبو العبد عباءته من على كتفه، فرشها تحت شجرة الزيتون التي اعتاد أن يستظل بما تنشره من ظل، كان يحب ذلك المكان؛ لأنه يطل من هناك على أرضه المنبسطة حتى أسفل المنحدر.

بحث عن عصاه. أسند ذقنه إلى طرفها، وراح يقلب نظره في التلال المحيطة التي تتسلقها الأزهار البريَّة، فتكسو(الحبلات) والسلاسل الحجرية، وتتوسطها أشجار الزيتون العريقة.

ابتسم حين رأى ولده يهرول خلف الثور العجوز، يحرث الأرض أسفل المنحدر. تمتم في سره: لا خوف على الأرض مادام هناك من يحرثها[(١)].

فهناك علاقة حب فطرية بين الطفل والطبيعة، ولهذا يوظف كتّاب الأطفال هذه الخاصية، للنفاذ من خلالها إلى أعماق الطفل، ومداعبة مشاعره وأحاسيسه لإقامة رابط قوي بينه وبين الأرض التي يعيش عليها، فيدرأ الأخطار عنها، ويدافع عن حياضها ويحمي ترابها، وتبقى مناظر الربيع ورائحة أزهاره، وزقزقة عصافيره تعشش بداخله، وتعزف أغنية الحنين الدائم بين ضحكاته الجميلة وابتساماته البريئة.

وفي قصة **(الأشجار لا تموت)** من مجموعته القصصية **(شهادة شرف)** يستعرض الكاتب وصايا الأجداد الدائمة في أهمية الأرض والحفاظ على ترابها، ويبرز في هذا الحوار الشيق بين الجد العجوز وحفيده أهمية الأرض، التي تشكل في حياة الإنسان كنزاً ثميناً لا يمكن تعويضه، كما تمر في خاطر الجد العجوز ذكرياته في اللهو واللعب على هذه الأرض لمّا كان طفلاً صغيرا، وكم من الشجر غرس بيديه، وهاهو الآن كبيرٌ عالٍ شامخٌ كشموخ الجبال في أرض الوطن، لتشكل معلماً حقيقياً من معالم الهوية والانتماء.

وقال: يا كريم، هذه الأشجار غالية علي، ولا أحب أن أرى أحداً يعتدي عليها..... وأشار بإصبعه

إلى مجموعة من الأشجار وهو يقول: هل ترى هذه الأشجار التي أمامنا؟

أجاب: نعم..... مالها؟؟!!

الجد: لقد غرستها بيديّ هاتين قبل خمسين سنة..... وهاهي قد أثمرت وعمَّرت..... وستظل ثابتة في الأرض..... إلى أمدٍ طويل..... طويل!!

(١) الأسعد، أسعد. (٢٠٠٣): **الموسم القادم**. ط١، مركز أوغاريت، رام الله، ص٣.

سأل كريم: وهل الأشجار تظل حيّة..... ولا تموت.....؟!

أجاب الجد: إذا ظل الإنسان يرعاها ويعتني بها..... فإنها ستظل شامخة ولن تموت.....!!

كريم: يا سلام.....!! ما أروع الأشجار!!

الجد: أنظر إلى هذه الشجرة التي تجلس في ظلها، إنني ومنذ أن كنت طفلاً صغيراً، أتذكرها كبيرة، كما تراها الآن..... وقد كنت وأنا صغير السن أتسلق أغصانها، و أتمرجح بفروعها الخضراء..... كما تفعل أنت الآن.....(١).

فالأرض في حياة الفلسطيني هي التاريخ الذي يكتب على صفحاته ذكريات طفولته، والملاذ الدافىء لبرد أيامه، والجمال الربيعي الذي يتربع على عرشه، حينما يتنفس رائحته الزكية، المنبعثة من حنّونه وليمونه ورمَّانه، فيمتع نظره بنوّار شجره وأزهاره، ويفترش الأرض تحت ظل زيتونة هرمة، وقد تجاوزت الخمسين من عمرها أو أكثر، ومازالت واقفة شامخة لا تموت.

الخاتمة

أظهر البحث مجموعة من النتائج، ومن أهمها:

١. لعبت القصة دوراً حيوياً في تقوية الانتماء الوطني، وتعميق المفاهيم السياسية مبكراً لدى الأطفال

٢. عبّرت بعض هذه القصص عن غايتها بصورة إيحائية، في تعميق وعي التمسك بالأرض، وحمايتها من أطماع الطامعين، وهي الأرض المهددة بالاستيطان اليهودي، دون التطرق إليه بشكل مباشر، لتستمر حالة التنامي لمشاعر الانتماء والوطنية الصادقة، وتتصاعد ملحمة النضال بكل مظاهر الألم والمعاناة، والتشبث بالأرض والوطن، إلى أن يتحقق الهدف المنشود في العودة واسترجاع الحق المغتصب.

٣. جاءت بعض هذه القصص رداً على المزاعم الصهيونية التي تقول: سيموت الكبار وينسى الصغار، وتصبح الأرض ملكاً لنا، الأمر الذي أسهم بصورة قوية في تحقيق الذات الفلسطينية التي لم يقهرها النفي، ولم يقتلها الرصاص، وما زالت تدور في فلك الحنين والعذاب والذكرى، كما الأشجار واقفة لا تموت، ولسان حال كل طفل فلسطيني لم يقوَ على تحقيق حلم العودة، لا يملك إلاّ أن يقول: سيكبر أولادي ويعرفون أن لهم وطناً ذا تاريخ وحضارة.

٤. تعميق الهوية بانتماء الطفل الفلسطيني لوطنه وأرضه.

٥. غرس قيم التضحية والاستشهاد لدى الناشئة من أبناء فلسطين؛لحماية الوطن والذود عن حماه.

---

(١) العابد، عبدالسلام. (١٩٩٦): **شهادة شرف**. اتحاد الكتاب الفلسطيني، القدس، ص١٩.

٦. استخدم الكاتب الفلسطيني الأسلوب الرمزي في عرض بعض أعماله القصصية، حيث جاء البعض منها على شكل صور إيحائية تعبر عن الشهيد والأرض والوطن.

٧. اهتم كتاب القصة بتوظيف أساليب فنية سردية عديدة؛ بهدف تحقيق مستوى ثقافي وأدبي جيد للأطفال، منسجماً بذلك مع مستوياتهم الإدراكية والعقلية والنفسية.

٨. اتسمت قصة الطفل الفلسطيني بالواقعية، حيث استمد الكتّاب موضوعاتهم القصصية من الواقع التاريخي للقضية الفلسطينية، والأحداث الجارية على أرض الصراع، وقد تميزت أساليب العرض بإثارة المتعة والحياة في الحوار القصصي.

٩. تميزت لغة القصة بمراعاة مراحل الطفولة المختلفة باحتوائها ثروة لغوية برز فيها عنصر الخفة والبساطة والجمال، وتناغمه مع مستوياتهم العقلية، وداعبت أحلامهم البريئة.

التوصيات

في ضوء الهدف من هذا البحث ونتائجه، يوصي الباحث بما يلي:

١. تعزيز البرامج التربوية والثقافية التي تعمق روح الولاء والانتماء للوطن، وأهمها التفاعل مع المناسبات الوطنية، بإظهار معانيها وأسبابها ومنجزاتها.

٢. ضرورة اعتماد قصة الطفل الفلسطيني في المناهج المدرسية لتنمية مشاعر الانتماء الوطني لدى الأطفال في سن مبكرة.

٣. التركيز على القصص التي تساعد الأطفال على الاتصال بالبيئة والواقع الذي يعيشون فيه، ودراسة مدى تقبلهم لهذا الواقع، والإسقاطات التي يتأثرون بها من خلاله

٤. ضرورة التركيز على موضوع الاستيطان، وما يتهدد الأرض من أخطار في حال إهمالها والابتعاد عنها وعدم والعناية بها.

٥. حث الأطفال على المشاركة في الأنشطة التي تنمي الشعور بالانتماء للأرض، لتفعيل القيم الوطنية من خلال الأعمال التطوعية والمسابقات الثقافية، والحث على القراءة والإبداع والأنشطة الفنية المتنوعة التي تنمي المشاعر الوطنية.

٦. التركيز على البعد الإنساني، لإخراج الطفل من دائرة الخوف من المستقبل، والعمل على نقله إلى ما بعد الحدث لمساعدته على الانخراط الطبيعي في المجتمع.

٧. إطلاق أسماء الأطفال الشهداء على بعض الأماكن و المرافق العامة، كالمدارس والشوارع والميادين والحدائق وغيرها، تعزيزا لمشاعر الانتماء والولاء لدى أطفال فلسطين.

٨. التأكيد على التراث الوطني بمصادره التاريخية والدينية والاجتماعية والثقافية؛ إذ إن الاهتمام بالتراث يفيد بالإجابة عن سؤال الهوية والانتماء.

٩. عدم إهمال القصص التراثية باعتبارها من مصادر التغذية الثقافية؛ لتنمية الوعي بالانتماء وتحقيق الذات .
١٠. اعتماد مبدأ الثقافة الوطنية؛ للإسهام في بلورة شخصية الطفل الفلسطيني، وتوثيق انتمائه للواقع الذي يعيش فيه، واعتزازه بأرضه ووطنه وأمته، بوصف هذه الثقافة حصنا منيعا للهوية.

References (Arabic & English)

- Holy Quran.
- Abu Mohammed, D. (2003). *Land Of Love*. Palestine، Ramallah. 1st Edition. Ogarete Center.
- Al- Abed, A. (1995). *Certification for Honor.* Palestine, Jerusalem. Palestinian Writer Union.
- Al Hudhud, R. (1988). *The wedding Of Spirit.* Jordan, Amman. Dar Kendah.
- Al -Hudhud, R. (1990). *The Savoir of the Village*. Jordan, Amman. 2nd Edition. Dar Kendah.
- Al-Habaz, M. (2005). Directions of Children Poetry in Contemporary Palestine Poetry. *The magazine Of Al –Quds Open University for Research and Studies, Issue No. 5. 2005.*
- Al-Hadedi, A. (1999). *In Children Literature*, Egypt. Egyptian-Lebanese Anglo Library.
- Al-Qalqili. A. (2004). *Land in the Palestinian's Memory*. Palestine, Ramallah. Center Refuges and Diaspora.
- Alssa'ad, A. (2003). *The Coming Season*. Ramallah, Palestine. Ogarete Center.
- Al-Taweel, I. (2002). *Nicest Homes*. Palestine, Ramallah. 1st edition. Ogarete center.
- Ayyad, S. (1971). *Literature in a Changing Word*. Egypt, Cairo. 1st Edition. General Egyptian Bureau.

- Bader, H. (2001). The Ramifications of Intifada on Children Behavior. *Balsam Magazine, Issue 3 No. 308*.
- Bedawi, M. (2004). *Children Songs in Modern Palestinian Poetry for 1920-1948*. (M.Sc. dissertation, An Najah National University).
- Daragmah, H. (2001). Intifada Turns The Ordinary Papers Of Palestinian Children. *Balsam Magazine, Issue No 308*.
- Duqairi, M. (1997). *Character, Culture and the Arab Society*. Palestine, Nazareth .Arab Society, 1st Edition,
- Hamdawi, J. (2009). *Children Literature in Palestine*. Dunia Al Ra'e, 1/9/2009.
- Hassan, H. (2005). *The Palestinian Woman and the Future of Intifada*, 19-3.
- Hassoneh, K. (2002). *Palestinian Arab Proverb*. Palestine, Gaza. Dar Ben- Khaldoon.
- Hijjazi, A. (2002). *Palestinian Proverb Encyclopedia*. Amman, Jordan, Dar Ossama.
- Ib Mansour. (1956). *Tongue of Arabs*. Lebanon, Beirut .2nd Part. Dar Sader.
- Mahmoud, A. (1958). *Abdel Rahim Mahmoud Poetry*. Jordan, Amman. Modern Writing Company.
- Mansour, A. (1982). *Psychololinguistis*. Suede Arabia, Al-Riyadh. 1st Edition. King Saud University.
- Musa, I. (2005).The Impact of Cultural Referent on Palestinian Child Literature. *Conference in Palestine Al Birah Municipality Library, 18 September 2005.*
- Nasser, I. (1994). *Civil Education*. Jordan, Amman. 1st Edition. Al Rae'd Library.
- Owais, M. (1997). *Children Day Dream*. Palestine, Jerusalem. Palestinian Writers Union.

- Palestinian School Students. (2004). *Stories and Tales Engraved In the Memory*. Palestine, Ramallah.1st Edition.
- Ramadan, M. (2002). *Lyli and the Sheep* .Palestine, Ramallah. Ogarete Center.
- Saleh, M. (2003). *Palestine*. Egypt, Cairo. 1st Edition. Arabic Media Center.
- Sanad, G. & Ali, A. (2002). *National Identity and International Society and Media*. Beirut, Lebanon. Dar Al- Nahda.
- Sayegh, R. (1980). *Palestinian Deasnuts*. Beirut, Lebanon. 1st Edition. Arabic Research Institute.
- Shuqeir, M.(1997). *The Palestinian Boy*. Palestine, Jerusalem. 1st Edition. Salah Addin Publications,
- Slongorth, C. (2004). *Children without Childhood*. Amman, Jordan. Translation of Jenin Center for Studies.
- Tuqan, I. (1993). *Complete Poetic Works*. 2nd Edition .Arabic Institute for Research & Publication.
- Zaggout, I. The Rigor of The Palestinian Present in the Palestinian Children Drawings, www.elaph.com.